ولدى البعدِ انطِقا

بالكافِ حرفًا دونَ لامٍ أو مَعَه واللامُ إنْ قدَّمتَ ها مُمتنعَه

ذكرَ ابنُ مالكٍ هنا التقسيمَ الثّاني لأسماءِ الإشارةِ، وهو الذي يُلاحظُ فيه المشارُ إليهِ من ناحيةِ قربِه وبعدِه، وذلك أنّ المشارَ إليهِ على رأيِ ابنِ مالكٍ له رتبتانِ:

الأولى: قُربى وتستعملُ له جميعُ أسماءِ الإشارةِ المتقدمةِ دونَ أن يُزادَ عليها شيءٌ في آخرِها.

الثانيةُ: بُعدى: وتستعملُ لها جميعُ أسماءِ الإشارةِ المتقدّمةِ وتُزادُ عليها الكافُ، فنقول: "ذاك رجلٌ مقبلٌ" أو الكاف واللام، فتقولُ: "ذلك الرّجلُ أقبلَ إلينا". وهذه الكافُ حرفُ خطابٍ لا محلَّ لها من الإعرابِ، وهي تتصرفُ تصرفَ الكافِ الاسميةِ غالبًا، فتفتحُ للمخاطبِ، كما في المثالِ المذكورِ، وتُكسرُ للمخاطبةِ، نحوُ: "ذلكِ رجلٌ مقبلٌ" بكسرِ الكافِ، وتتصلُ بها علامةُ التثنيةِ، إذا كان المخاطبُ مثنّى، كقولِه تعالى: ((ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّ)) [يوسف:٧٣] ، أو علامةُ جمعٍ إذا كانَ المخاطبُ جمعًا كقولِه تعالى: ((وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ)) [فُصلت:٢٣] ، وقولِه تعالى: ((قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ)) [يوسف:٣٢] ، ومن غيرِ الغالبِ قولُه تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ)) [المجادلة:12] ، فلم تتّصل علامةُ الجمعِ باسمِ الإشارةِ "ذلك" مع أنّ الخطاب للجمع.

فإنْ تقدّمَ حرفُ التّنبيهِ الذي هو "ها" على اسمِ الإشارةِ جيءَ بالكافِ وحدَها فنقولُ: "هذاك" وعليه الشّاهد:24

رأيتُ بني غَبْراءَ لا يُنكرونني ولا أهلُ هذاكَ الطّرافِ المُمَدّدِ

وأمّا اللامُ فهي حرفٌ دالٌّ على البعدِ تُزادُ قبلَ الكافِ، وهي ملازمةٌ لها للدّلالةِ على المبالغةِ في البعدِ إلّا في التّثنيةِ مطلقًا وفي الجمعِ في لغةِ مَن مدّهُ، وفيما سبقتْه هاءُ التنبيهِ: فلا نقولُ: "هذالك رجلٌ عاقلٌ" وذلك لكثرةِ الزّوائد.

وظاهرُ كلامِ ابنِ أنّه ليسَ للمشارِ إليهِ إلا رتبتانِ: قُربى وبُعدى، والجمهورُ على أنّ له ثلاثَ مراتبَ:

1ـ قُربَى ويُشارُ بما ليسَ فيهِ كافٌ ولا لامٌ.

2ـ وُسطَى ويُشارُ إليهِ بما فيهِ الكافُ وحدَها.

3ـ بُعدَى ويُشارُ إليهِ بما فيهِ الكافُ واللامُ.

وبِهُنا أو ههُنا أشِرْ إلى داني المكانِ وبهِ الكافَ صِلا

في البُعدِ أو بثَمَّ فُهْ أو هُنا أو بهنالِك أنْطِقَنْ أو هِنَّا

ذكرَ ابنُ مالكٍ في هذينِ البيتينِ ألفاظَ الإشارةِ للمكانِ، وهي ألفاظٌ تفيدُ الإشارةَ مع الظّرفيةِ، فهي في محلِّ نصبٍ على الظّرفيةِ، ولهذا دخلتْ في عدادِ ظروفِ المكانِ، فهي أسماءُ إشارةٍ وظرفُ مكانٍ معًا، وأصلُ ذلك لفظانِ: هما: "هُنا" و"ثَمّ".

فأمّا "هنا" فهي اسمُ إشارةٍ إلى المكانِ القريبِ، نحو: "هنا يكونُ الاجتماعُ"، وقد يُزادُ في أوّلِها حرفُ التنبيهِ "ها"، نحوُ: "ها هُنا الضيوفُ" قال تعالى عن قومِ موسى عليه السلامُ: ((إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)) [المائدة:٢٤] فإذا زيدتِ في آخرِها الكافُ وحدَها أو الكافُ واللامُ صارتْ للمكانِ البعيدِ، وهذا على رأيِ ابنِ مالكٍ، وعلى رأيِ الجمهورِ "هناك" للمتوسطِ و"هنالك" للبعيد.

وأمّا "ثمَّ" فاسمُ إشارةٍ إلى المكانِ البعيدِ، نحوُ: "تأمّلِ السّماءَ فثَمَّ القدرةُ العظيمةُ" قال تعالى: ((وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآَخَرِينَ)) [الشعراء:٦٤].